

البنية السردية في رواية (ص، ب:1003) لسُلطان العميمي

The narrative structure in the novel (P.B.: 1003) by Sultan Al-Amimi

محمد سيف الإسلام بوفلاقة^{1*}، كلية الآداب واللغات، جامعة عنابة (الجزائر)،

saifalislamhousain@gmail.com, <https://orcid.org/0009-0001-0785-9833>

2024-11-23	تاريخ القبول	2024-06-06	تاريخ الاستلام
------------	--------------	------------	----------------

ملخص

يرمي البحث إلى دراسة البنية السردية في رواية لسُلطان العميمي، من خلال التركيز على مجموعة من الظواهر السردية التي تبنت فيه، والتعمق في تقنيات السرد وبنية الفضاء التي ظهرت في هذا العمل الإبداعي الثري، الذي لم يسبق دراسة بنيته السردية، فقد أغفله النقاد، على الرغم من أهميته، فقد لاحظنا بعد اطلاعنا على النص، بأنه يسمح بالنهوض بدراسة ثرية ومُفيدة لظواهر سردية متنوعة ومتعددة، ويُمكن مقاربته من زوايا عدة، نظراً لتعدد مرجعياته ورمزية بعض أدواته، إضافة إلى ما يحمله من تناقضات ثواجه المتلقي بعدد من الأسئلة المنهجية، والإشكالية بالنسبة إلى تقنيات السرد والبناء الفني، ففي الرواية مسار تصاعدي فيه تحول من حالة إلى حالة أخرى، وما نلاحظه أن بنية الأحداث تكتسي أهمية بالغة، كونها تكتفٍ التجربة الدرامية، وتعمّقها، وتبدو من خلال رواية (ص، ب:1003) مواقف إنسانية وتضامنية، إذ أن ما يشدّ القارئ لمطالعة هذه الرواية ليس شكلها الفني، أو بنيته السردية فقط، بل مضامينها المُحمّلة بالتجارب ذات الدلالات الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: بنية؛ سرد؛ رواية؛ دراسة؛ تحليل.

Abstract

The research aims to study the narrative structure in the novel by Sultan Al-Amimi, by focusing on a group of narrative phenomena that appeared in it, and delving into the narrative techniques that appeared in this rich creative work, the narrative structure of which has not been previously studied. Critics overlooked it, despite its importance. After reviewing the text, we noticed that it allows for the advancement of a rich and useful study of diverse and multiple narrative phenomena, and that it can be approached from several angles, given the multiplicity of its references and the symbolism of some of its tools, in addition to the contradictions it contains that confront the recipient with a number of questions. Methodology, and the problem with regard to narrative techniques and artistic construction.

Keywords : structure; Narrative; novel; study; analysis.

إن أي نص سردي لابد أن يتألف نسيجه من مستويين: مستوى الأقوال، وهو نظام الكلمات التي أبدعها المؤلف وفقاً لنظام معين، والتي تؤلف سطح النص أو ظاهره، ومستوى الأفعال؛ وهو نظام العالم المترشح عن مستوى الأقوال؛ وهو الذي يشكل باطن النص المتألف من نظام أفعال الشخصيات، والإطار الزمني-المكاني (الزمكاني) الذي تؤدي (الشخصيات) أفعالها فيه، والكلمة تبقى هي العلامة الظاهرة، أما فعلها فهو الدلالة المغيبة، وهي ما لا ينتزع إلا عن طريق القراءة، أي تنظيم عناصر المستوى الأول تنظيمياً خاصاً، يُفضي إلى بناء عالم دال في المخيلة (مخيلة القارئ)، فهذا العالم الدال يحتاج إلى قراءة تأويلية خاصة، ولا يُمكن أن تتم إلا استناداً إلى المرتكزين الأساسيين: مستوى الأقوال (العلامات)، ومستوى الأفعال (الدلالة)، وكان رولان بارث قد أكد على أن النص تعددي، قاصداً بذلك أنه يحقق تعدد المعنى ذاته، ولهذا فما يحتاجه النص وفقاً لتفكيره هو التفجير والتشتيت، وعملية التفكير هذه تجهز على وحدة النص، وثقوض قصده المركزي، وتحوله إلى حقل مشبع بمنظومة دلالية متسقة وممتدة في كل أجزائه، وهذا ما يجعله بؤرة دلالية شاملة؛ فمرافقة النص السردي من التدليل إلى التأويل، أوجبت ليس حصر البؤر الدلالية فحسب، وإنما تعريضها لضرب من التفكير؛ ثم ربطها مجدداً بغرض إنشاء مراكز متعددة، تشتغل بتوجيه من قطب دلالي أساسي (هويدي، 1998م، 110)، وهو الذي يوفر لها المجال الذي يغذي شحناتها الدلالية بالقوة الدائمة التي تستنفرها القراءة التأويلية، وتسعى هذه الدراسة من خلال السعي إلى إبراز البنية السردية في رواية: (ص، ب: 1003)، إلى إيضاح مدى تفرّد هذا النص من بين نصوص أخرى للروائي نفسه، ولغيره من الروائيين العرب؛ ولاسيما إذا علمنا أنّ نص: (ص، ب: 1003) لم يحظ بعناية فائقة بالنسبة لمؤلفه مقارنة مع غيره من نصوص أخرى للأديب سلطان العميمي، حيث إن رواية (ص، ب: 1003) لم يسبق دراسة بنيتها السردية، وهذا ما شجعنا على إنجاز هذا التحليل، ولقد نهضت الدراسة على المسألة والاستثمار والتطبيق، من خلال أنموذج محدد: رواية (ص، ب: 1003).

تقنيات السرد وبنية الفضاء في رواية (ص، ب: 1003) لسلطان العميمي

يقوم فن السرد في رواية (ص، ب: 1003) في بعض المحطات على تضمين حكاية داخل حكاية أخرى، بوساطة قنوات نقل الخبر أو الاسترجاع؛ الذي يُراد به إيقاف عملية القص، والرجوع إلى الوراء لاستحضار أحداث مُنصرمة وقعت في الماضي، تفصلنا عنها مسافات قد تقصر أو تطول؛ فالسرد الاستذكاري والسرد الاستشراقي شكل خلال عدة مراحل مركز التوجه الزمني في الرواية، إن هذه التقنية (الاسترجاع) تسمح للقارئ أن ينتقل بين عناصر الزمن من ماضٍ وحاضر، في حركة عادية تشعر القارئ بتداخل الأزمنة في وحدة لا يفصلها فاصل، واللافت للنظر في التقنيات السردية التي تجلت في النص الروائي (ص، ب: 1003)؛ أن الارتداد لم يوظف على نمط واحد؛ حيث إننا ألفينا وجود ارتداد بطريقة الرجوع إلى الوراء، واستحضار أحداث ماضية دون مزجها بالحاضر. وبعض المحطات تجلّى فيها الارتداد بمفهومه المعروف في النقد الروائي بأنه «يعني الارتداد نحو حكاية كان يمكن أن تذكر في موضعها من السياق السردى، فأرجئ تقديمها لغاية من الغايات الفنية التي منها حب المزج

بين الحاضر والماضي، وإدماج أحدهما في الآخر بطريقة تتوخى الحيوية، والحركة المتجددة في السرد». (مرتاض، 1995م، 217)، وقد ظهر في هذا العمل الروائي تفاعل الشخصيات مع الأحداث، من خلال بناء متكامل؛ تلعب فيه العناصر المذكورة دوراً في خلق عمل فني يتسم بالنضج في الحكاية، ويُساهم في تطورها، و حاول الروائي أن يُنوع من الأشكال السردية، من خلال إفساح المجال لتقديم الأحداث والتحويلات والمشاهد الرئيسية، وهذا الشكل السردى هو شكل محمود «لأنه يُركز النشاط السردى من حول راوية لا يكون إحدى الشخصيات، ولكنه يتلقاه بمباشرة تحرمه من البعد الذي ينشأ بالضرورة عن السرد ذي الطبيعة الارتدادية، والذي يكون بطريقة ضمير المتكلم، ويتميز هذا الشكل السردى بكونه يسوق الحكى نحو الأمام، ولكن انطلاقاً من الماضي. وهي تقنية مناقضة للتقنية السردية الأخرى التي تصطنع ضمير المتكلم، وواضح أن الرواية ذات الضمير الغائب، على نقيض ما قد يُظن، لا ينبغي لها أن تقدم انطباعاً عن الحضور، والمباشرة». (مرتاض، 1995م، 195)، وقد أكثر الروائي سلطان العميمي من توظيف السرد بضمير المتكلم في بعض المحطات؛ حيث تجسدت هذه الطريقة في السرد من خلال المناجاة، أو الاستذكار واسترجاع الماضي، والأحداث المنصرمة؛ خاصة مع شخصيتي: (يوسف وعلي)، والغاية من توظيف هذا الضرب من السرد هي وضع بُعد زمني بين زمن الحكى (وهو زمن الحدث حال كونه واقعاً)، والزمن الحقيقي للسارد (وهو يتجسد في اللحظة التي تُسرد فيها الأحداث عبر الشريط السردى). وببعض ذلك يتبين أن السرد بهذا الضمير ينطلق من الحاضر نحو الوراء. فكأن الحدث في الحال الأولى (السرد بضمير الغائب)، هو بصدد الوقوع، أما في الحال الثانية فإنه يصنف على أساس أنه قد وقع بالفعل، ومن الصعوبات التقنية التي تساور سبيل الروائيين الذين يؤثرون اصطناع هذا الضمير، أنهم حين يضطرون إلى اصطناع المناجاة يجدونهم مرغمين على الانتقال من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب، وذلك حين يريدون وصف الإيماءات، والأفكار لشخصياتهم وصفاً زمنياً (مرتاض، 1995م، 196).

إن الاعتماد على الذاكرة لعرض الاسترجاع، يعد من التقنيات المستحدثة، وقد وظف الأديب سلطان العميمي هذه التقنية في عدة فصول من روايته، كما أن الأصوات الساردة تتعدد وتنوع في الرواية، وذلك من أجل السماح للأحداث حتى تتقدم، ويتم تقديمها من زوايا متعددة الرؤى، والوسائل الفنية المتنوعة التي وظفها الروائي في هذا النص السردى هي وسائل فنية ميزت فن التجريب الروائي العربى الذي يعكس عادة حكاية منتشرة في الوطن العربى تعتمد إعادة سرد الحكاية مرات متعددة على المتلقي، وبأكثر من لسان، إذ كل شخصية قدمت رؤيتها بطريقتها الخاصة، ومن خلال ضمير المتكلم، بهدف إبراز علاقتها بالشخصية الأخرى، مثلما ظهر على سبيل المثال عندما تحدث يوسف عن زيارة حشيد والد عيسى له في مركز البريد، كما استلهم الروائي سلطان العميمي أسلوب السرد العربى القديم في رواية (ص، ب: 1003) باستدعائه أساليب القدماء في نقل الخبر من خلال توظيف الرسائل، وتوظيف ضمير المتكلم مع الجماد الذي أضفى يتحدث وكأنه شخصية من شخصيات الرواية، مثلما ألفينا هذا الأمر في السرد التليد عندما تتحدث الحيوانات وكأنها شخصيات قائمة بذاتها، وقد أضفى هذا الأسلوب التراثي على فن السرد في الرواية طرافة

وبساطة ،كما كشف في الآن ذاته عن جمالية إبداعية ميزت رواية(ص،ب:1003)، وهي تختصر الحاضر في الصفحات الأولى، والذي يتمثل في خبر وفاة عيسى بن حشيد الذي هو شخصية رئيسة في الرواية، ولولا وجوده لما تحقق البناء الفني في النص السردى ،ثم تعود إلى الوراء لتكشف عن الماضي بوساطة الرسائل التي أرسلت سابقاً إلى عيسى بن حشيد ،واكتشفها يوسف الموظف الجديد؛ فقد وظف الأديب سلطان العميمي هذه الطريقة بالعودة إلى ما وراء الأحداث بعد موت عيسى، حتى يتمكن من تمرير الأحداث المُستحدثة في الرواية، والتي تتمثل في تقمص شخصية يوسف لشخصية عيسى ،وكانه ما زال يعيش بشكل طبيعي ويُراسل عليا-سلمى.

ومن خلال مختلف الطرائق السردية التي وظفها الأديب سلطان العميمي، اتضحت الأشكال الرئيسية للمشهدية السردية في رواية(ص،ب:1003)؛ فقد لاحظنا وجود مجموعة من الوظائف الضمنية التي تبنت عن طريق الرسائل،وعن طريق حديث شتى الموجودات في الرواية بما فيها الجماد والإنسان، وقد ظهر لنا أن العملية السردية تحققت بشكل أوتوماتيكي سواء أوعاها السارد أم لم يعها،وسواء أقصدها أم لم يقصدها، وقد نجح الروائي في تأدية الوظيفة الأساس للسرد والتي هي البيان والنقل والإخبار بطريقة جمالية،حيث تبدى لنا من خلال النص السردى(ص،ب:1003) ظهور عدة وظائف أبرزها: الوظيفة السردية التي هي نقل الخبر وإيصاله إلى الطرف الآخر، حيث تأكد بهذا الصنيع الطابع الذاتي والوظيفي النفعي للظاهرة السردية،كما تحققت الوظيفة التحكيمية التي تتمثل في إحكام المروي وتنظيم جزئياته،أي فنيات السرد، وبذلك يتم تحقيق عملية التمثيل، وبالوقوف مع الأشكال الأساسية للحركة السردية،التي تحدث عنها الناقد(جونات)،وهي تنقسم إلى أربع تقنيات رئيسة:الإجمال والحذف، أو الإسقاط الكلي، والمشهد، والوقف؛ فإننا نلفي أن بعض هذه الأشكال قد تواترت في رواية(ص،ب:1003) للأديب سلطان العميمي، والملاحظة التي يجدر بنا التنبيه لها هي أن التعامل مع السياق الزمني يقبل مجموعة من التأويلات، فمع بداية الأحداث الأولى في رواية: (ص،ب:1003)؛ تظهر أول تقنية من تقنيات السرد تم توظيفها من قبل الروائي سلطان العميمي منذ بداية أحداث الرواية، و هي تقنية: (الاستباق)؛ والتي يُقصد بها سبق الأحداث واستشراف المستقبل، ويتم ذلك من خلال إيراد أحداث سابقة لأوانها، أو التنبؤ بوقوعها؛ فيقع التمهيد لها أو الإعلان عنها، وهذا ما ألفيناه منذ البداية؛ فالرواية تكشف مع بداياتها عن خبر وفاة شخصيتها المحورية؛ فخير الوفاة سبق الأحداث التي ظهرت بعد اكتشاف يوسف لرسائله؛ حيث وجدنا والد عيسى حشيد يستبق أحداث الرواية ويُخبرنا بألمه الشديد بعد وفاة ابنه عيسى، كما تُعبر والدته عن ألمها الحاد إزاء فراق ابنها قبل بداية الأحداث الرئيسية للرواية، حيث جاء في النص السردى : «عندما يفقد الإنسان إحدى يديه أو رجله أو أي عضو من أعضائه، فإن هذا العضو لا يعود للنمو أبداً، وعلى الإنسان أن يعيش بقية حياته بدونه،متألماً كلما شعر بمكان العضو هذا مبتوراً، فكيف بمن يفقد ابنه الوحيد؟ وكيف لا أتألم وكل شيء في البيت يذكرني به، حتى جسدي يذكرني به، ألم يكن في يوم ما قطعة مني؟ جزءاً من دمي؟ حتى الهواء الذي أتنفسه يذكرني به، ألم نكن نشترك بتنفسه في بيت واحد؟ ألم يكن يتنفس عن طريقي في أثناء حملي به؟ غرفته تذكرني به، الطعام الذي يحبه، الطعام الذي لا يحبه، ملابسه التي كنت أغسلها بيدي كل يوم، باب بيتنا الذي كنت أقف

عنده مودعة له، في كل صباح، أستيقظ على أمل أن يكون ما حدث كابوساً طويلاً، كئيباً، مالحاً مرّاً» (العميمي، 2015م، 51). كما يظهر تكثيف الروائي وتسريعه للأحداث بشكل كبير في هذا النص السردى في بعض المحطات التي تكتسي أهمية قصوى؛ فالسارد يمضي بنا في أحداث متسارعة جداً أثناء سفر يوسف إلى لندن وعودته منها ومباشرة بعدها يقرر إنهاء التواصل عن طريق الرسائل مع عليا-سلمى، فالتقنية السردية الموظفة من قبل الأديب سلطان العميمي تعتمد على المفارقة الزمنية؛ وذلك بالتصريح بما كان يجب أن يؤجل ويؤخر، ثم في نهاية أحداث الرواية يُقرر غلق(ص:ب:1003) بسرعة كبيرة، و كان يُمكن لو أن الرواية استهلت بهذا الخبر، وبعدها تبدأ الأحداث أثناء كشف النقاب عن مضامين رسائل عيسى بن حشيد؛ أي أنه كان بإمكان الراوي لو تحدث عن وقائع الغلق، ثم يقع الاسترجاع، وإبراز سمات شخصية(عيسى بن حشيد)، غير أننا لاحظنا أن نهاية الرواية كانت بعنوان: (عنوان غير معروف)؛ إذ يُصرح يوسف بالقول: «لم أعد مُهتماً بفرز الرسائل الواردة إلى مكتب البريد، أو توزيعها على الصناديق، في الخامس عشر من شهر سبتمبر أخبرني زميلي جاسم أن رسالة وصلت إلى صندوق بريدي (1003)، وأن مصدرها بريطانيا ومُوجهة إلى عيسى، اطلعتُ على اسم المُرسل فوجدته: عليا». (العميمي، 2015م، 234)؛ فالملاحظة الرئيسة التي يخرج بها المتأمل في الحركة السردية في هذا النص السردى، أن بناء الرواية ونسيجها يشوبه في بعض المحطات فراغ كبير يؤدي بالقفز بالأحداث من زمن إلى آخر؛ إذ أن الإجمال وتسريع السرد تقنية متواترة بطريقة فنية متميزة في رواية: (ص:ب:1003)، والحديث عن تقنية «الإجمال» الذي هو تقنية سردية معهودة في الخطاب الروائي يكون بموجبها زمن الخطاب أقصر من زمن الخبر بحيث يقع تلخيص أحداث عدة أيام، أو شهور، أو أعوام في فقر وجيزة، أو مقاطع محدودة دون ذكر التفاصيل و الجزئيات (نبيغ، 2004م، 145)؛ يجعلنا نلاحظ أن الروائي سلطان العميمي عمد إلى هذه التقنية مع مجموعة من شخصيات الرواية، إذ أنه تعتمد المرور السريع على مراحل طويلة من شخصيات الرواية، ولاسيما مع شخصيتي(جاسم)، و(راشد).

إن رواية(ص:ب:1003) لا تخلو من تعقيد وطرافة؛ كونها احتضنت مراحل متداخلة ومتراكمة من حياة الشخصيات التي تحفل بها، وإلى جانب تقنية «الإجمال» السردية التي وظفها الروائي سلطان العميمي في جملة من محطات السرد؛ فقد لعبت تقنية «الإسقاط» دوراً حاسماً في اختصار عملية السرد، وتسريع وتيرتها؛ حيث نلاحظ في بعض الأحيان السكوت عن فترة من الفترات من حياة الشخصيات الفاعلة في الخطاب السردى، والمرادف للإسقاط هو عملية الحذف؛ فهذه التقنية تتمثل في إسقاط الخطاب لفترة زمنية قد تقصر أو تطول من الخبر، حيث لا نجد ذكراً لها.

وقد برزت تقنية «الوقف» في رواية (ص:ب:1003)؛ عن طريق وصف الأماكن، نذكر من بين هذه الأوصاف وصف الغرفة الخالية، غرفة عيسى بن حشيد، حيث جاء في هذا الوصف: «كان مكتبه يضم ثلاثة أدراج، اثنين علويين، وواحداً في الأسفل كبير الحجم يحتل الجهة اليمنى منه، وقد خصص الدرجين العلويين لألبومات طوابعه، أما السفلي فخصصه لملفات رسائله. كانت الأدراج الثلاثة تحوي أقبالاً يحمل عيسى مفاتيحها دائماً في جيبه». (العميمي، 2015م، 68)، كما تواترت تقنية «المشهد» في بعض فصول الرواية، حيث إنها تخللت الحركة السردية لتقطع استرسالها،

وتقدم لنا رؤى متوافقة ومنسجمة؛ فقد وجدنا أن هذه التقنية تظهر في الحوار كونه الوسيلة الرئيسة لعرض ما يتداول على أفواه الشخصيات، ويعبر عن الهواجس فيها (تقنية المشهد) بطرائق تتسم بالحرية في التعبير عن الذات.

إن تنوع الروائي سلطان العميمي في الأشكال الأساسية للحركة السردية يندرج في إطار ما يُعرف باسم: (الديمومة)، والتي تعني دراسة الصلة القائمة بين الحيز الذي تستغرقه الأحداث في الحكاية-أي في زمن الخبر-والحيز الذي تمتد عليه في النص-أي في زمن الخطاب-، والجدير بالذكر أن الحيز الأول زمني «يُقاس بوحدات التوقيت المعروفة من ثوان، ودقائق، وساعات، وأيام، وأشهر، وأعوام. أمّا الحيز الثاني فمكاني ويُقاس بالأسطر، والفقرات، والصفحات والفصول والأبواب... والمقارنة بين هذين الحيزين تمكّنا-على حد تعبير جوناس- من معرفة نسق السرد، أي تبين ما يمكن أن يطرأ عليه-في تقديمه لبعض الأحداث-من عجلة مفرطة، أو إبطاء شديد؛ فقد يعتمد السرد إلى اختزال أحداث مدّة طويلة في سطر، أو سطرين، فتكون السرعة عندئذ في أقصاها. وقد يعتمد-خلافًا لذلك- إلى تمطيط أحداث لحظة، أو لحظات في صفحات، أو فصول، فتكون السرعة في أدناها، وبين العجلة والإبطاء درجة وسطى اصطلح عليها بالمشهد». (مرتاض، 2014م، 150).

انطلاقاً من أفكار جيرار جينات والنظام الزمني للسرد، فلا ريب في أن النص السرد (ص، ب: 1003) للأديب سلطان العميمي، ينتمي إلى الجنس الروائي كما هو ظاهر في الغلاف الخارجي لهذا العمل الأدبي، وانتماء هذا النص السرد إلى جنس الرواية يدفع بنا إلى تحليله تحليلًا منهجيًا دقيقاً، و يجعلنا نتعامل مع ما يحكيه الكاتب من أحداث، وما يقدمه من شخصيات ومواقف تعامل القارئ مع القصص والحكايات؛ فالأحداث التي وقعت في هذا النص السرد، وما تقدمه لنا هذه الرواية (ص، ب: 1003)، قد يكون من الممكن أنه وقع في الماضي المنصرم، وهناك إمكانية أن تعاد وتقع هذه الأحداث في المستقبل، كما أن ما حدث سابقاً وما سيحدث لاحقاً يتعلق بالروائي، أو الكاتب الحاضر في بعض تحولات وقائع الرواية، وأحداثها المتشعبة والشائكة، ولا يختلف اثنان في أن أي كاتب، أو روائي تتردد أصداؤه في داخل النص السرد؛ فالكاتب يوجد بطريقة، أو بأخرى في نصوصه، موظفاً تجاربه المتراكمة وخبرته الثرية في هذا الوجود أثناء رسم شخصيات روايته فنياً، فالكاتب سلطان العميمي صاحب تجربة خصبة، وعميقة في الحياة، مكنته من التأمل العميق، وفهم التحولات الحاصلة في دولة الإمارات العربية المتحدة، كما أن لديه فهماً راسخاً ودراية بما وقع وبما يجري في الإمارات العربية المتحدة.

وبالنسبة إلى المكان في النص السرد، فإنه يتميز بأنه يُشكل قوة فاعلة جداً تبرز وتنسج خيوط الحكى، وتفرض بناء تشعباته؛ فالمكان يغدو كياناً حياً يتخذ حركيته وقوته من الأحداث والقيم التي يُعبر عنها، كما يؤدي المكان بأشكاله وإيحاءاته ومستوياته؛ دوراً بارزاً في التشكيل السرد في الرواية، حيث إنه أحد العناصر الجوهرية في تشكيل معمار السرد وإيضاح هيكلية في الفضاء، أو الحيز، الذي يذهب بعض النقاد، و من بينهم الناقد المعروف عبد الملك مرتاض إلى أنه يُمكن أن يُستعمل في التحليل السيميائي للخطاب الأدبي من حيث جنسه، مثلاً، مصطلح (الحيز)، بدل (المكان) الذي يلهج باستعماله نقاد السرديات من العرب المعاصرين؛ ذلك بأن المكان ينبغي له

أن ينصرف إلى الدلالة الجغرافية، أي: إلى المكان الحقيقي الثابت في الخرائط الرسمية للأقطار، في حين أننا نقصد بمصطلح (الحيز)، وحتى نميز في استعماله، وذلك بينه، وبين (المكان) الجغرافي: العالم الحيزي الذي يُنشئه القاصّ، أو الروائي، فيخادع القارئ عنه به، بادعاء أنه مكان جغرافي فعلاً وحقاً؛ من حيث هو مجرد هيئة مكونة من المكونات السردية الأخرى كالحدث-الذي لا ينبغي له أن يكون، هو أيضاً، تاريخياً ولا واقعياً-وكاللغة التي ليست، في الحقيقة، مجرد أداة للتعبير في العمل الإبداعي، ولكنها نشاط إبداعي متفاعل و متكامل غاية تكملة المكونات الإبداعية الأخرى؛ فاللغة في العمل السردية غاية، وهدف، وإبداع، وليست مجرد وسيلة للتعبير...، فليس الحيز إلا مكوناً سردياً من قبيل السيميائية؛ في حين أن المكان مكون أرضي حقيقي فيكون من قبيل الجغرافيا ذات التضاريس.. (مرتاض، 2014م، 145).

لا شك في أن الفضاء ينهض بدور عظيم داخل نسيج النص السردية؛ فوظيفته ليست أقل شأنًا عن الوظائف التي تؤديها العناصر النصية الأخرى، وكثيراً ما تُلفيه يُستعمل للدلالة على عناصر الطبيعة، أو المجال الطبيعي الذي تجري في ظله أحداث ووقائع الرواية، وتتحرك فيه مختلف الشخصيات، وقد نبه نخبة من الباحثين إلى أن الفضاء ينقسم إلى أربعة عناصر رئيسية، وهي: أ-العنصرية: وهو المكان الذي يُمارس فيه الفرد سلطته، ويتسم بالنسبة له بالحميمية والألفة، وقد ظهر هذا الفضاء في رواية (ص، ب: 1003)، من خلال مجموعة من المحطات.

ب-عند الآخرين: وهو المكان الذي أخضع فيه لوطأة سلطة الغير، مع ضرورة الإقرار بوجود هذه السلطة.

ج-الأماكن العامة: ويُقصد بها الأماكن التي ليست خاصة بشخص معين، ولكنها تخضع للسلطة العامة التي هي الدولة.

د-المكان المتناهي: ويتميز هذا المكان بصورة عامة بخلوه من الناس؛ فهو أرض لا تخضع لسلطة أحد، مثل: الصحراء.

لقد نهضت رواية: (ص، ب: 1003) على تشكيل معمارها السردية على مجموعة طبقات سردية تكوّن منها المجتمع الإماراتي؛ فقد مثلت مدينة (الذيد) التي تقع في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، بأنموذجها المكاني المفتوح فضاءً سردياً نوعياً؛ إذ احتضنت مبنى البريد الذي انطلقت منه الأحداث، وتشكلت وتلاحمت، وقد أسهم الروائي سلطان العميمي في وضعه موضع التنفيذ الفني البالغ الحضور والأهمية والإثارة؛ نظراً لما ينطوي عليه من بنية استثنائية خصبة بكثير من المواد الأولية التي يحتاجها البناء السردية لتشكيل الحكاية القصصية والروائية، ويرتقي هذا الفضاء في النص السردية إلى مرتبة عالية من الحضور والتميز والنوعية والكثافة؛ إذ جسدت الذيد عالماً عميقاً من التنوع والغنى لا حدود له.

إن القارئ لرواية: (ص، ب: 1003) سيكتشف جملة من الثنائيات المتضادة، وقد مكنت هذه الثنائيات الكاتب الروائي سلطان العميمي من رصد ما يدور من عوالم في فضاء بريد الذيد التي تدور فيه وتنطلق منه جل أحداث الرواية، ونقصد بذلك الحيز المكاني، فليس لأحد أن يشك في أن الرواية لا يكتب لها النجاح، إلا إذا أحسن الكاتب انتقاء الحيز المكاني؛ الذي تجري على ركه الأحداث

والوقائع والتحويلات، وتحرك في فضاءاته الشخصيات المتباينة، ومن ثم فالمكان يقتضي ويفرض علينا ضرورة أخذه بعين الاعتبار، يؤثر ويتأثر، ويتفاعل مع شخصيات الرواية، وأفكارها، كما يحدث احتكاكاً وتفاعلاً مع الكاتب الروائي نفسه، وأنه لمن الضروري أن يكون هناك تبادل وجدل بين الشخصية والمكان، وذلك عن طريق مختلف الوشائج والصلات التي تجمع الساكن ببيئته التي تحيط به؛ فقد أضى المكان في الدراسات النقدية التحليلية المعاصرة للخطاب السردى بنية الفضاء الروائي، يُضفي علينا رؤى جديدة تتصل بفهم الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية، سواء إذا كانت رئيسة ومحورية أم ثانوية؛ فالمكان في كثير من الروايات يتضمن دلالات جديدة، وقد يصبح في محطات من الرواية الهدف الرئيس من وجود ذلك العمل، وقد لاحظنا أن رواية: (ص، ب: 1003) تدور جل أحداثها في بيئة غارقة في المحلية، وتفتح في محطاتها الأخيرة على المملكة المتحدة، ولاسيما بعد أن يُسافر يوسف للقاء عليا-سلمى؛ فمن السهل أن يُلاحظ القارئ تموضع أحداث الرواية في حيز بيئي واحد يتجلى في مدينة الذيد، إن المكان (الذيد) يحمل شحنات شعرية في جدلية علاقته بالأحداث والزمن والشخصيات، ويحتوي على دلالات وأبعاد مختلفة، وقد حرص الأديب سلطان العميمي في عدة محطات من الرواية على ربطه بعناصر الطبيعة؛ فقد وجدنا مبنى البريد يتحدث ويصف حالة الطبيعة، وأجواء الطقس، ومنطقة (الذيد)، وقد كان الكتاب القدامى يجعلون من المكان مجرد فضاء مادي تأخذه الذات؛ بيد أنه أضى اليوم يحمل دلالات واسعة، ترتبط بأمور عقلية، وتحليلية؛ فالمكان يأخذ مجموعة من الصور الانزياحية في خطاب الرواية الإماراتية الجديدة، إذ تطبعها فيه الشخصية بتجلياتها، ومظاهر انفعالاتها، وقد أصبح يُوصف بأنه جزء من التجربة الذاتية التي تحمله معها في لا محدوديتها، و يجدر بنا أن ننبه إلى أنه إذا كان الزمان يسمح للرواية بالتقاطع مع الموسيقى، من حيث الإيقاع، ودرجة السرعة، فإن المكان يُدنيه من الفنون التشكيلية، ويُقربها من رسم الفضاءات ونحتها بوساطة الكلمات.

إن النص الروائي يتوفر في بنيته النصية على جملة من الأمكنة المتوزعة وفق هندسة منظمة أو عشوائية، وليس على مساحة واحدة، بحيث نلاحظ وجود أمكنة جغرافية تشكل مسرحاً للعبة القوى الفاعلة (الشخصيات)، وأمكنة متخيلة، علاوة على إشارات لغوية تشير إلى أمكنة متنوعة ومختلفة تتوزع في الخطاب الروائي، وتتموقع في النص السردى، كما إننا نجد أن المكان الواحد في الوقت ذاته قد يتمظهر من خلال مجموعة من الصور والرؤى المختلفة حسب الموقع المكاني الذي يتخذه الروائي تبعاً لرؤيته الإيديولوجية والجمالية التي يرصد منها وعبرها العالم، بيد أن الحديث عن المكان يقتضي في بعض الحالات التمييز بينه وبين الفضاء؛ فهناك بعض النقاد يذهبون إلى أن الفضاء أكبر من المكان، لأن الأول يحتوي الثاني ويمتلئ به؛ فالمكان قد يكون موضعاً تقع فيه الأحداث، وهذا ما اصطلاح عليه في اللغة العربية لفظاً (مكان): أي الحيز أو الوعاء، والذي يقع فيه الفعل؛ أما الفضاء فيمتد في دلالاته إلى ذلك الفراغ، أي الفضاء الخارجي الذي يُحيط بالمادة، كما أن المكان في العربية تم توظيفه من لدن الفلاسفة المسلمين للدلالة على الحيز مجرداً عن الشيء الذي يحتله ويجسده كمفهوم قائم بذاته ومستقل عن محتواه، وهو يعني كذلك الامتداد اللامحدود الذي يشمل كل الامتدادات الجزئية المحدودة، وهو (المكان) يصبح موحياً بالبعد الجغرافي الحسي،

أو الحيز المحدود الذي يُشكل ديكوراً أو إطاراً للأفعال والأحداث، في حين أن الفضاء يتسع لشتى أشكال المكان وأنماطه، وذلك انطلاقاً من كونه أعم من المكان، حيث يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، وإن كان أساسياً، والفضاء يسمح بالتأمل والبحث في فضاءات تتجاوز المحدود والمجسد لمعانقة التخيل والذهن، ومختلف الصور التي تتسع مقولة الفضاء، والجدير بالذكر أنه من الصعوبة بمكان إيجاد رؤية موحدة للتمييز الدقيق بين الفضاء والمكان، وقد لاحظنا في عدة روايات أن وصف الأمكنة كثيراً ما يأتي مُتقطعاً كون ضوابط المكان في النص السردى تكون متصلة عادة بلحظات الوصف، وهي لحظات تتسم بالتقطع والتناوب في الظهور مع السرد ومقاطع الحوار، بالإضافة إلى وقع تحول وتغيير في الأحداث وتطورها؛ مما قد يفرض وجود تعددية الأمكنة واتساعها، أو تقلصها، حسب طبيعة موضوع الرواية، ولذلك فصورة المكان الواحد تتباين وتتنوع حسب زاوية النظر التي يلتقط منها، وفي بيت واحد قد يُقدم الراوي لقطات متعددة تختلف باختلاف التركيز على زوايا معينة، أما بالنسبة إلى الصلة بين الفضاء والمكان، فإنه يمكن الإشارة إلى أن مجموع الأمكنة التي تأتي في الرواية هو ما يُطلق عليه بفضاء الرواية؛ ذلك أن الفضاء أوسع وأشمل من معنى المكان، والمكان بهذه الدلالة هو مكون الفضاء، وعلى الرغم من أن الأمكنة في النصوص السردية الروائية غالباً ما تكون متفاوتة ومتعددة؛ ففضاء الرواية هو الذي يلفها جميعاً، إنه العالم الرحب والمترامي الأطراف والواسع الذي يشمل جملة من الأحداث الروائية، إنه شمولي؛ كونه يُشير إلى المسرح الروائي بكامله، في حين أن المكان يُمكن أن يكون متعلقاً فقط بجوانب جزئية، أو مجالات محدودة من مساحات الفضاء الروائي. (بن سالم، 2013م، 114).

وقد ظهر في رواية: (ص، ب: 1003) الحضور العابر لجُملة من الأماكن داخل المسرود الروائي، فعلى سبيل المثال أثناء استحضار الروائي لمكان مبنى البريد، وبعد أن وصفه بدقة وبلسانه، أتبعه بوصف الجو وتحديد التاريخ بدقة، حيث جاء في النص : «اليوم هو الثاني والعشرون من نوفمبر لعام 1986. هذا الشهر يعتبر هنا بداية لفصل الشتاء الذي يبلغ ذروته في ديسمبر، حين تجود السماء فيه غالباً بأمطار غزيرة يبتهج بها الناس، أو ببرد قارس يحتمون منه بملابسهم الغليظة أو بمواقد نارية أو كهربائية للتدفئة...تبقى فترة الليل، وتبدأ عندي قبل انتصافه بقليل؛ حيث يستسلم أغلب الناس للنوم في هذه المنطقة البعيدة التي تعوزها الحياة الليلية، ولا يفضل أهلها بعد انتهاء البرامج التلفزيونية حوالي منتصف الليل سوى اللجوء إلى النوم ليستيقظوا باكراً في صباح اليوم التالي...». (العميمي، 2015م، 15).

وقد لاحظنا أن هناك كثافة في حضور الألفاظ الدالة على الزمن، مثل: الأيام، والليل، والظلام، والمساء، والأسبوع، والصيف، والشتاء، والعام، والسنة، والشهر وغيرها، وهي ألفاظ تتكرر في مختلف فصول الرواية، كما أن الروائي وظف الزمن في مشهدية الخطاب السردى بطرائق بارعة تنم عن تحكم دقيق في الخطاب السردى من لدنه، ومن ذلك وصفه لانتظار عليا-سلمى لحضور يوسف الذي تعتقد أنه عيسى الذي ترأسه، حيث جاء في الرواية: «خمس دقائق بقيت على تمام الثامنة. مضى على وصولي إلى المطعم عشر دقائق. كنتُ قد حجزتُ طاولة في زاوية من زواياه البعيدة عن المدخل. عند دخولي أخبرتُ موظف الاستقبال فيه أنني أنتظر شخصاً سيسأل عني وعن مكان

جلوسي... الحياة في لندن لا تتوقف، ليلاً أو نهاراً. وصلتُ إلى المطعم في تمام الثامنة مساءً. أنزلتني سيارة الأجرة قرب بابهِ. قبل دخوله قرأتُ الاسم المعلق في أعلاه...» (العميمي، 2015م، 204).

والوصف عند الأديب الروائي سلطان العميمي حيّ ولذيذ ليس فيه بهرج وتكلف، وقد تأتي له من خلال ملازمته للأحداث والتصاقه بالواقع الموصوف؛ حيث أحسن وصف الشخصيات، ووصف شتى الفضاءات، ومما جاء في وصفه الدقيق لشخصية يوسف، ولبناء البريد وشعوره: «... هذا الموظف الجديد الذي باشر عمله اليوم، يبدو أصغر سناً من موظفي البريد الأربعة الآخرين؛ فالمدبر راشد يبدو في منتصف العقد الخامس من عمره، أما ناصر فيعمل في خدمة المراجعين يبدو في منتصف الأربعينيات، على خلاف أبي أحمد الذي يعمل مدققاً مالياً وأميناً للصندوق، وهو في الثلاثينيات من عمره، وأخيراً جاسم مسؤول الصادر والوارد ومعاون ناصر في أداء مهمته، وهو تقريباً في عمر أبي أحمد. أما يوسف الموظف الجديد- والأعزب الوحيد بين الموظفين هنا فيبلغ عمره- بحسب ما سمعته يخبر جاسم- ستة وعشرين عاماً. سمعته يقول إنه يحمل شهادة جامعية في العلاقات العامة من جامعة الإمارات، وقد وجد بعد تخرجه فرصة للعمل في إحدى المؤسسات الإعلامية» (العميمي، 2015م، 179).

وقد لاحظنا انتقال الشخصية المحورية (يوسف) من فضاء إلى فضاء آخر؛ حيث يُسافر من مركز عمله في منطقة (الذيد) إلى المملكة المتحدة، وبالتحديد إلى العاصمة (لندن)، ولقد وصف الأديب الحالة التي سبقت مرحلة الانتقال، كما قدم إحاطة للقارئ بمختلف الهواجس التي ساورت الشخصية قبل الانتقال إلى لندن، وبعد العودة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة؛ لقد بدا في الإطار العام للمكان في الرواية أن الأحداث- ونظراً لطبيعة المسرود- لم تشغل كامل المساحة التي يحتلها المكان، فقد ارتبطت تلك الأحداث ببعض المجالات المكانية التي شكلت عوامل أكثر تأثيراً من غيرها، ومن خلال التمعن في تفاصيل رواية: (ص، ب: 1003) نلاحظ أن المكان الأكثر تأثيراً فيها هو مبنى البريد في (الذيد)، والحيز الواقع أمامه؛ إذ أن القارئ لا يحتاج إلى كبير عناء حتى يدرك أهمية هذا الموضع، ولا سيما عند بلوغ ذروة الأحداث الفجائية ورحيل عيسى بن حشيد، وتوظيف الروائي لمبنى البريد ليكون منطلقاً ليس مستغرباً، فالرواية أساسها قائم على: (ص، ب: 1003)، ومقره المبنى في (الذيد)، وإلى جانب محورية المكان المذكور في التأثير؛ تظهر أمكنة أخرى تتمتع بدور كبير في توجيه الأحداث، وأهمها: مدينة لندن التي تدرس بها عليا- سلمى، وهي الطرف الآخر في المراسلة، ولها طاقة كبيرة في رسم هندسة النص الروائي. والمكان في رواية (ص، ب: 1003) مكان ينطق ويتحدث ولديه هواجس وعواطف وأحاسيس، فنحن نجد الغرفة تتحدث: «لا أعرف كيف أحدثكم عني؟ هل تجيد الغرف الحديث عن نفسها وعن أصحابها؟ عن قاطنيها وزوارها وترتيب أثاثها؟ ووصف اللوحات المعلقة على جدرانها، ومكان نافذتها وبابها وشكل إضاءتها، وأشياء أخرى كثيرة؟ لو أنها تبوح فقط بأسرارها وأسرار من يدخلها أو يعيش فيها لسمعتم العجب أقولها بثقة... أيامي تمضي بصورة نمطية شبه صامتة، وحتى ما يكسر هذه النمطية، صار نمطياً هو الآخر...» (العميمي، 2015م، 67).

في رواية (ص، ب:1003) لاحظنا ذلك التعلق الشديد، والارتباط الوثيق بين عليا-سلمى، ووطنها (المكان) دولة الإمارات العربية المتحدة، وشاهدنا حُسن هندسة الروائي للمكان، وقدرته الفائقة على الحديث عنه وبلسانه، ووصف أجزائه بدقة متناهية، وقد وجدنا عليا-سلمى بعد عودتها إلى لندن من الإمارات تشعر بالحنين والعاطفة لوطنها العزيز على قلبها، كما ألفيناها من جانب آخر، ومن زاوية أخرى تشتاق وتحن إلى الشقة(المكان) التي كانت تسكنها وهي تدرس بمدينة لندن.

خاتمة

إن الأديب الإماراتي سلطان العميمي تمكن من تحقيق جملة من الغايات الفنية والفكرية، فللرواية دلالة تاريخية ؛ فهي ترصد مرحلة مهمة جداً من تاريخ البريد في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهي ما بعد منتصف الثمانينيات من القرن المنصرم، وقد ظهرت الأحداث عن طريق استلھام الماضي الإماراتي، وتناوله من خلال منظر متميز؛ إذ أنه وظفه في إعادة بعث الواقع، ولرواية(ص، ب:1003) كذلك قيمة فنية، حيث أبدع الكاتب في صياغتها، والحقيقة أن توسيع الروائي سلطان العميمي من حريته في الاختيار والتوظيف الفني للأحداث والشخصيات، يجعل القارئ يعيش التاريخ بمفهوم جديد يفي بالمقتضيات المعاصرة والراهنة؛ مما يُعطي بُعداً موضوعياً للقوى الاجتماعية والتاريخية، والإنسانية التي تمت صياغتها عبر مسار طويل من التطور التدريجي للحياة الراهنة، مع التأكيد على أن رواية(ص، ب:1003) ليست رواية تاريخية، وإنما تحتوي بعض المراحل من تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة.

وفي هذه المحطة النهائية تجدر الإشارة إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها:

- ما يُمكن ملاحظته عن طبيعة البناء في رواية «ص، ب:1003»، أنه يركز على شخصيات بسيطة تنتمي إلى المجتمع الإماراتي، وقوة البناء الفني في هذه الرواية ليست محض صدفة، بل لها سيادة المهيمنة الروائية، وبصفتي قارئاً منتجا بدا لي أن المحرك الفاعل في هذا النص هي الشخصيات الرئيسية في الرواية (عيسى بن حشيد، وسلمى-عليا، ويوسف).

- تعدّ رواية «ص، ب:1003» أنموذجاً نصياً ناضجاً في الخطاب الروائي الإماراتي الجديد؛ فقد استطاعت أن تجسّد بحق وصدق عوالم مدينة(الذيد) الإماراتية، وتمكّنت من نسج جدليّة متلاقحة بين الواقعي والخيالي، وبين الأحلام والملموس، وبين العقلي واللاعقلي، وتتجلّى جماليّة السرد في هذه الرواية في مزاجتها بين عوالم متفرعة.

- استوحى الروائي سلطان العميمي مجموعة من المحكيّات الشعبيّة المرتبطة بالأنساق الثقافية الإماراتية، كما استعار بعض الخطابات التاريخية، والصوفيّة، واستثمر بلاغة الشفوي، وعلامات التشكيل، وتقنيّات السينما، وأعاد الاعتبار لأسئلة الذات في تماسها مع عوالم المجتمع، مُجسّداً في مركز بريد(الذيد).

- تبدو تجربة الروائي الإماراتي سلطان العميمي من خلال رواية «ص، ب:1003» متوافقة مع "الميثاق السردى" في بعض محطّات النصّ السردى، كما تظهر متمردة عليه في الآن ذاته في جوانب أخرى.

- يظهر أن الروائي سلطان العميمي من خلال هذا النص السردى «ص، ب: 1003»، وكأنه يبحث عن أشكال جديدة للكتابة الروائية؛ حيث يسعى إلى تجديد الواقعية وتجسيدها عن طريق إشارات وعلامات تتخطى التحولات، وتعيد تشكيل المتخيل من خلال توظيف تقنيات سردية شائقة، لعل أبرزها أن الجماد يتحدث ويُعبر عن هواجسه وأحاسيسه.

- تتعدد مستويات السرد، ويبدو الروائي سلطان العميمي، وكأنه يُشخص الواقع عبر التقاط التفاصيل المهمشة، والعوالم الخفية في مركز صندوق البريد بمدينة (الذيد)، كما أنه يقوم بصياغة المحمولات الثقافية بمختلف امتداداتها في الذاكرة، والوعي، والجسد.

- مثل الملفوظ السردى لرواية: «ص، ب: 1003» قسما من البناء العام للعوالم الروائية التي اجتهد الروائي سلطان العميمي في ترسيخ قواعدها، وارساء أسسها، وإيضاح ملامحها؛ فلقد لاحظنا أن جملة من الموضوعات السردية متجلية، وبارزة في مفردات البناء الفني، وفي طليعتها البيئة الإماراتية، من خلال مركز البريد الذي شكّل الفضاء الروائي، فضلا عن الموروث الاجتماعي الذي تتناقله الأجيال.

- عمد الروائي سلطان العميمي في رواية «ص، ب: 1003» إلى اختزال عوالم النص السردى، وأجواء الفضاء الروائي في شخصيات محورية هي شخصية (عيسى بن حشيد)، و(عليا-سلمى)، و(يوسف)، مما أسهم في تقوية تركيز القارئ في موضوعات محدّدة، كما منح روايته دقة في تناول الموضوعات الرئيسية، واختزال الدلالات البعيدة في شخصيات أساسية، وهذا ما منع تشتت ذهن المتلقي، وجعله ينشغل بهوم الشخصيات الرئيسية، وقد انعكس هذا الأمر على فضاء الرواية الذي بدا محدودا، ومنكمشا في عوالم مدينة الذيد، وظهر في صورة ضيقة إلى أن انفتح في الأخير في رحلة مقتضبة وسريعة جداً إلى مدينة (لندن)، مما يذكّرنا بالفضاء المسرحي.

- ما يلفت النظر في رواية «ص، ب: 1003» هو ذلك التضاد الماثل في الشخصية المحورية الرئيسية (عيسى بن حشيد) ومع من تتمّ معها المراسلة (عليا-سلمى)؛ إذ أن الاهتمامات مختلفة باستثناء هواية المراسلة، وعلى الرغم من ذلك فطبيعة الشخصية الإماراتية التي ظهرت في النص متسمة بالانفتاح والتسامح والتحاور مع الآخر على الرغم من اختلاف الاهتمامات والعقليات.

- تميز الروائي سلطان العميمي برّقي وصفه ودقته التي وصلت إلى درجة فنية عالية، وبدأت لغة المؤلف الفصحى سهلة، وبسيطة، وابتعدت عن الغرابة، والتعقيد.

- لقد بدا (عيسى بن حشيد) الشخصية الغائبة في الرواية منذ انطلاق أحداثها، بيد أنه حاضر إلى آخر محطات السرد في الرواية، فهو القيمة المهيمنة الأساسية، والعنصر الرئيس من خلال سياق البنية السيمائية المنبعثة من مواقع تطور أحداث الرواية، وبحثا عن المغزى الدلالي لهذه الشخصية؛ نجدها شخصية بسيطة وعادية جداً، ولكنها فرضت وجودها.

- وظّف الأديب سلطان العميمي في روايته مجموعة من تقنيات السرد، ومن أبرزها: الاستباق، والاسترجاع، والمشهد، والإجمال، والحذف، ولاشكّ في أنّ النص السردى منوط بتوفير جملة من العناصر والشروط، وهي شروط قوينة تعمل على تأثيره في المتلقي، ونجاحه، وتميّزه، وقد سعى

النقاد إلى إيضاحها، وتبسيطها. وبعض المصطلحات السردية تداخلت، وجُلّها يُشير إلى التعبير عن الأحداث في النص السردى بكيفيات وطرائق مختلفة.

- كشفت الدراسة في قراءتها السيميائية لرواية «ص،ب:1003»، عن تداخل خطابات عدّة في هذا النص السردى من أبرزها: الاجتماعي، والإيديولوجي، والخلقي، وغيرها... وقد ارتبطت البنية اللغوية في رواية: «ص،ب:1003» بجملة من المعاني، والدلالات العديدة، منها: التراثي، والشعبي، والديني، والتاريخي، والاجتماعي، و تبدّى لنا أنّ هذه الروافد، والمداخل الثقافية، والحضارية التي تجلّت في النص السردى أسهمت في توسيع الحقل الروائي، ونمت مدارك القارئ الفكرية، وقدّمت له إحاطة بعوالم البيئة الإماراتية، كما بعثت الشخصيات الحياة في المكان، وامتزج في محطات كثيرة بشكل تفاعلي مذهل معها.

- جسّد الروائي سلطان العيممي بعض عادات المجتمع الإماراتي التي كانت سائدة في مرحلة الثمانينيات من القرن المنصرم بطرائق شتى، ومن خلال قراءتنا السيميائية للرواية، ظهر لنا أنّ إبراز بعض عناصر هذا الموروث يعدّ قراءة جديدة للننتاج الأدبي؛ ذلك أنّ الرواية سواء أكانت موروثاً، أو نصاً معاصراً؛ فهي ترتبط بتحوّلات المجتمع، وتاريخه، ووجوده، وهويّته، ويظل التراث دائماً صفة مميزة من صفات تشكّل الهوية، وتوظيف الروائي الإماراتي سلطان العيممي للموروث من عادات وتقاليد سائدة في المجتمع الإماراتي بدا واضحاً في هذا النص السردى.

- يقوم فن السرد في رواية (ص،ب:1003) على تضمين حكاية داخل حكاية أخرى، بوساطة قنوات نقل الخبر، أو الاسترجاع؛ الذي يُراد به إيقاف عملية القص والرجوع إلى الوراء لاستحضار أحداث مُنصرمة وقعت في الماضي، تفصلنا عنها مسافات قد تقصر، أو تطول، وقد استلهم الأديب سلطان العيممي في بعض محطات الرواية أسلوب السرد العربي القديم باستدعائه أساليب القدماء في الرواية من خلال حديث الجماد.

-نوع الروائي سلطان العيممي في الأشكال الأساسية للحركة السردية، وهذا ما يندرج في إطار ما يُعرف باسم: (الديمومة)؛ والتي تعني دراسة الصلة القائمة بين الحيز الذي تستغرقه الأحداث في الحكاية-أي في زمن الخبر-والحيز الذي تمتد عليه في النص-أي في زمن الخطاب-.

- إن القارئ لرواية: (ص،ب:1003) سيكتشف جملة من الأجواء التي ثبرز واقع المدينة الإماراتية في مرحلة الثمانينيات من القرن المنصرم، ونظام المجتمع الإماراتي خلال تلك الفترة من خلال الحركة في مدينة (الذيد)، ومن خلال أحداث الرواية ووقائعها؛ نلمس خضوعها لثنائيات عديدة، وقد مكنت هذه الثنائيات الكاتب الروائي سلطان العيممي من رصد ما يدور من عوالم في فضاء المدينة الإماراتية التي تدور فيها أحداث الرواية، ونقصد بذلك الحيز المكاني؛ فليس لأحد أن يشك في أن الرواية لا يكتب لها النجاح، إلا إذا أحسن الكاتب انتقاء الحيز المكاني، وهو مدينة(الذيد) في رواية(ص،ب:1003)؛ التي تجري على ركحها الأحداث والوقائع والتحوّلات، وتتحرك في فضاءاتها الشخصيات المتبانية، ومن ثم فالمكان يقتضي ويفرض علينا ضرورة أخذه بعين الاعتبار، إذ يؤثر ويتأثر ويتفاعل مع شخصيات الرواية وأفكارها، كما يحدث احتكاكاً وتفاعلاً مع الكاتب الروائي نفسه.

- بدت رواية «ص، ب:1003» وكأنها تمثل نمطا جديدا في الأدب الإماراتي، وهو نمط الرواية الرمزية من خلال توظيف حديث الجماد، وعناصر الطبيعة، وتجسيد التشخيص، فقد مزج الأديب سلطان العميمي بين الجماد والإنسان في الخطاب، في صورة بديعة حفل بها هذا النص السردى المتميز، وظهرت أشكال الرمز المختلفة من خلال حديث شتى عناصر الطبيعة.

قائمة المراجع

الكتب

- 1- العميمي، سلطان(2015م). ص، ب:1003، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون.
- 2- بن سالم، عبد القادر، (2013م)، بنية الحكاية في النص الروائي المغاربي الجديد، لبنان، منشورات الاختلاف.
- 3- مرتاض، عبد الملك (1995م). تحليل الخطاب السردى. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 4- مرتاض، عبد الملك (2014م).). شعرية القص وسيمائية النص. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.